# N! ALL مع جوردان إيزلي

# ما ثمن النفس؟

أسئلة سألها يسوع | الجزء السادس | مرقس ٨:٣٤-٣٨

## مقدمة

قبل سنواتٍ سمعتُ عن عازفة فيولا شابّة نالت فرصة العمر: دعوةً للعزف في واحدةٍ من أعرق قاعات الحفلات في أوروبا. كانت قد استحقّتها: سنواتٌ من التمرين، وساعاتٌ من السلالم الموسيقيّة والتقنية، وكل تفصيلٍ مصقولٌ تحت عين معلّمها الساهرة. في تلك الليلة الكبيرة، عزفت نغمتها الأخيرة فانفجرت القاعة بتصفيقٍ طويلٍ عالٍ ووقوفٍ حارّ. ابتسمت، وانحنت، وتشرّبت اللحظة. لكنها ثم رفعت نظرها إلى الشُّرفة حيث كان معلّمها يجلس دائمًا، وكان هناك: لا واقفًا، ولا مصفّقًا، بل جالسًا ساكنًا غير متأثّر. في تلك اللحظة تلاشت ابتسامتها وامتلأت عيناها بالدموع، لأن كل تصفيق العالم فجأةً لم يعُد يعني شيئًا: الشخص الوحيد الذي كان رضاه الأهمّ لم يُعجَب. يومًا ما، كلٌّ منّا سيقف أمام الوحيد الذي يهمّ رأيه حقًّا. قد يهتف لك العالم ويصفّق لنجاحك، لكن إن كان يسوع —معلّمنا وربّنا— غير مسرور، فلن يعني تصفيق الأرض شيئًا.

طوال هذه السلسلة، نفذت أسئلة يسوع مباشرةً إلى القلب، لأنه لا يسأل ليحصل على معلومات: يسأل ليكشف ما يجري في داخلنا. اليوم نصل إلى ما قد يكون أكثر الأسئلة إيقاظًا للضمير. في مرقس ٨:٣٦ يسأل يسوع: «لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟». هذا ليس سؤالًا عن المال أو الأخلاق فحسب؛ بل سؤالٌ عن القيمة: ما نُثمّنه، وما نسعى إليه، وما نحن مستعدّون لمقايضته. السياق مهمّ: سأله يسوع قرب قيصريّة فيلبّس، مدينةٍ بُنيت لتكريم قيصر ومملوءةٍ بالمعابد والأصنام الوثنيّة. في ذلك المكان من العبادة الباطلة سأل: «مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟»، فأجاب بطرس بحقّ: «أَنْتَ الْمَسِيحُ» (عدد ٢٩). لكن حين قال يسوع إنه لا بدّ أن يتألّم ويُقتَل، أخذه بطرس على انفرادٍ لينتهره، فقال يسوع: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ! لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا لِلّٰهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ» (عدد ٣٣). أراد بطرس تاجًا بلا صليب. وهناك بالضبط جمع يسوع الجمعَ وعلّم ما تكلّفه اتّباعه حقًّا.

## النقاط الرئيسية

### ١. يسوع يكشف ما نُثمّنه أكثر

لم يأخذ يسوع الاثني عشر على انفرادٍ لحديثٍ خاصّ؛ بل «دَعَا الْجَمْعَ مَعَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (مرقس ٨:٣٤). كانت دعوةً مفتوحة وتحدّيًا علنيًّا جدًّا، مبنيًّا على ثلاث وصايا بسيطةٍ لكن باهظة: أنكِرْ نفسك، احمِل صليبك، اتبعني. في أيام يسوع لم يكن الصليب حِليةً ولا لوحةً على جدار: كان أرهب أداة موتٍ في العالم الرومانيّ. كانت الثورات

شائعة، وكان جواب روما على المتمرّدين هو الصلب؛ وكانت الصلبان تنتصب على جوانب الطرق تحذيرًا، بعضها يُترَك عقودًا ليُعلن: «هذا ما يحدث لكل من يقاوم روما». فحين قال يسوع «احمِل صليبك»، لم يظنّ أحدٌ أنه يتكلّم بالشعر. عرفوا أنه يعني: «اتّباعي يعني موتًا لحياتك القديمة، موتًا لأجندتك، موتًا للذات». لم يكن يدعوهم إلى إيمانٍ مريح؛ بل إلى تسليمٍ كامل، وهذا بالضبط ما يكشف ما تُثمّنه حقًّا.

ثم قال يسوع: «فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا» (عدد ٣٥). الكلمة المستخدَمة لـ«النفس» هي اليونانية بسيخي: روحك، وهويّتك، ولبّ كِيانك. تشبّثْ بالسيطرة فتخسر ما هو أهمّ؛ سلّمْ حياتك له فتجدها أخيرًا. هنا يبدأ السؤال يكشفنا، لأن ما ترفض تسليمه يكشف ما تعبده حقًّا. حين يطلب يسوع وقتك، يكشف كيف تُنفقه؛ وحين يطلب ثقتك، يكشف أين أمانك؛ وحين يطلب طاعتك، يكشف مَن يُصدر الأوامر حقًّا. ما ترفض أن تتخلّى عنه ليسوع هو بالضبط ما يملكك. لبطرس كان السلطة، وللشابّ الغنيّ الممتلكات، وللفرّيسيّين الكبرياء؛ فماذا عنك؟ الراحة، أو الاستحسان، أو النجاح، أو السمعة، أو علاقة، أو صورة، أو خطيّة سرّيّة، أو حلمٌ لا تُطلقه؟ أكثر ما يفعله يسوع محبّةً هو أن يكشف الأشياء التي نتشبّث بها، التي لا تقدر أن تُخلّصنا، ولا أن تُشبعنا، ولا أن تدوم.

## ٢. يسوع يُذكّرنا بما يهمّ حقًّا

«لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ أَوْ مَاذَا يُعْطِي الإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ؟» (عدد ٣٦-٣٧). يطلب منّا يسوع أن نتخيّل المقايضة العظمى: تربح كل ما يقدّمه العالم وتخسر الشيء الوحيد الذي لا يمكن أبدًا أن تستبدله. تخيّلها: الترقيات، والمنبر، والتصفيق، والمال، والشهرة، وحياة الأحلام بالعائلة والدخل والعلاقات، والتقويم المليء، والبيت المليء، والحساب المصرفيّ المليء، وفي نهاية كل ذلك، تخسر نفسك. إن كانت تلك قصّة حياتك، فماذا ربحتَ حقًّا؟ ثم يأتي السؤال الثاني، وكلمة «فداء» تعني المقايضة بشيءٍ من قيمةٍ مساوية. وهذا ما يريدك يسوع أن تسمعه: لا شيء بقيمةٍ مساوية. لا شيء يُقارَن بقيمة نفسك.

خُلقتَ على صورة الله وصُمّمتَ للأبديّة، لهذا لا شيء في هذا العالم يقدر أن يُشبعك تمامًا: لا شيء في هذا العالم صُنع لذلك. بعضنا يعرف تمامًا معنى مطاردة «المزيد»: مزيدٍ من المال، ومزيدٍ من الاستحسان، ومزيدٍ من الراحة، ومزيدٍ من الإعجابات، ومزيدٍ من السيطرة، وكلّما طاردنا أكثر قلّ رضانا، لأن النفس لم تُصنَع لتُملأ بالنجاح؛ بل صُنعت لتُملأ بالمخلّص. الممتلكات تزول، والمناصب تنتهي، والتصفيق يموت، والصحّة تتغيّر، والوظائف تتبدّل، والعلاقات تتحرّك، أما نفسك فأبديّة، وما تفعله بيسوع يُحدّد مصيرها. هناك قصّة عن جامع تحفٍ فنّيّة قايض لوحة رِمبرانت أصليّة بأخرى مزيّفة بدت له «أجمل» —خطوطٌ أنعم، وألوانٌ أزهى، وإطارٌ مُبهر— لكنّ القيمة زالت، لأنها لم تكن حقيقيّة. هذا ما يحدث حين نقايض الأبديّ بالزائل: يبدو جميلًا لبعض الوقت، حتى تظهر الحقيقة. يسوع يسأل: «لماذا تقايض ما يدوم إلى الأبد بما لا يدوم أبدًا؟».

## ٣. يسوع يدعونا أن نُسلّم الكلّ

«لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي فِي هذَا الْجِيلِ الْفَاسِقِ الْخَاطِئِ، فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَسْتَحِي بِهِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِ أَبِيهِ مَعَ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ» (عدد ٣٨). هنا ينتقل يسوع من الاختيار الحاضر إلى العاقبة الأبديّة:

اتّباعه ليس عن هذه الحياة فحسب، بل عن الآتية. أن «تستحي» يعني أن تنكمش، وتصمت، وتُخفي إيمانك حين يكون الصمت أسهل من الثبات، وإن كنّا صادقين، جميعنا نشعر بذلك الشدّ. سأل أبٌ ابنه المراهق لماذا صمت أثناء عادة العائلة في عيد الشكر بأن يشارك كلٌّ بما يشكر الله عليه، فقال الفتى: «لم أُرِد أن أُحرِج الجيران الذين لا يؤمنون». فأجاب الأب بحكمة: «يا بنيّ، ليس محرِجًا أن تكون شاكرًا؛ المحرِج أن تصمت والله كان صالحًا هكذا». أحيانًا ندع الراحة الاجتماعيّة تفوق القناعة الروحيّة، لكنّ الشكر مقصودٌ به أن يُعبَّر عنه، لا أن يُخفى.

لا يبحث يسوع عن مؤمنين بدوامٍ جزئيّ ولا عن تلاميذ فاترين؛ بل يدعونا —ويتوقّع منّا— أن نُسلّم الكلّ، أن نقول: «يا ربّ، لك أن تأخذ كل شيء: خططي، وكبريائي، وأولوياتي، كلّها». التسليم لا يعني أن تخسر حياتك؛ بل أن تجدها. لا يقود إلى الفراغ، بل إلى الملء. قد تخسر استحسان قلّةٍ من الناس، لكنك ستربح حضور الله؛ وقد تبتعد عن ربحٍ زائل، لكنك ستسير نحو مجدٍ أبديّ، وهذا لا يحدث إلّا حين تدخل «all in» مع يسوع. أخبرتني امرأةٌ أن عيد الشكر تغيّر بعد وفاة أبيها: «الطعام لا يزال بالمذاق نفسه والبيت لا يزال بالرائحة نفسها، لكنّ ذلك الكرسيّ في نهاية المائدة فارغ. جعلني أدرك أن الحياة أقصر من أن أطارد أشياء لن تهمّ حين تصير كل الكراسي فارغة». لا تُمضِ حياتك تملأ مائدتك وتنسى مَن أعطاك المائدة أصلًا. فما الذي يطلب منك يسوع أن تضعه، وأيّ خطوة تسليمٍ يدعوك أن تخطوها، وأين يدعوك أن تثبت بلا خجل؟ لأنك حين تحيا مُسلِّمًا، يصير الشكر شهادتك، وتصير الطاعة عبادتك، وتصير حياتك إعلانًا بأن يسوع —لا العالم— هو كنزك.

## أسئلة للتأمل

1. «ما ترفض أن تتخلّى عنه ليسوع هو ما يملكك». ما أصعب ما تضعه —الراحة، أو الاستحسان، أو النجاح، أو علاقة، أو صورة، أو خطيّة سرّيّة— وماذا يكشف ذلك عمّا تُثمّنه حقًّا؟
2. يقول يسوع إن النفس أثمن من العالم كلّه، ومع ذلك نُجرَّب لنقايض الأبديّ بالزائل. أين كنت تطارد «المزيد» فتجد رضًا أقلّ، وكيف سيتغيّر هذا السعي لو طلبتَ المخلّص بدلًا منه؟
3. أن تستحي بيسوع هو أن تنكمش وتصمت. أين يدعوك يسوع أن تثبت بلا خجلٍ هذا الأسبوع، وكيف سيبدو أن تدع شكرك وتسليمك يظهران؟